

قبر ابن الجوزي

وقصور الخليفة

Ibn Janzy et les Palais des Abbassides.

من المولمين بالتحقيق عن آثار بغداد والمشوفين بتاريخها الفاضل عبدالحديد عبادة وقد نشر عنها المقالات المفيدة في هذه المجلة الزاهرة . من ذلك مقالة الواردة في الجزء ٣ ص ٢١٧ من هذه السنة وهي عن دار ابن الجوزي وقبره . وقد أبان فيها غلط من يقول إن الموقد الذي به حديقة اكريوز هو لابن الجوزي المتوفى في سنة ٥٩٧ (١٢٠٠) . وأحال الكتاب القراء على الصفحة التي رجحت فيها ان هذا القبر هو لابن الجوزي الذي اشير اليه .

واني لاشكر عبادة على نقده الثري وعلى تخطيطه اياي . وكان سيب غلطي اني اعتمدت على « سالطه » بغداد وعلى ما رأيته في اول مخطوط قديم ذكرته هناك . وكان الواجب علي ان ارجع الى ابن خلكان . وليس بين المترجم والمترجم إلا قرن واحد فضلا عن ابن خلكان من الثقاة المولمين .

اما مقالها عبادة ان القبر لا بد ان يكون لمحيي الدين بن الجوزي او لابيه جمال الدين عبدالرحمن او لاختيه شرف الدين عبدالله أو لاختيه الاخر تاج الدين عبدالكريم وما رجحه ان القبر لمحيي الدين منهم لابوته وتغوفه على اولاده في العلم والترتبة ففي ذلك نظر . فان قتل هؤلاء الاربعة (١) . على ما قاله كتب الحواشي وعلى ما نقله عبادة من مختصر تاريخ الحنابلة . كان في دخول هولاء بغداد . وكنت الدماء تجري فيها والناس في ويل وثبور (٢) أقلم يكن عندهم ما يمنعهم من الوقوف على مدفن فلان ومفنن فلان ؟ ويجوز انهم وقفوا على دفن هذا القبر . اما سبب الترجيح الذي اوردته عبادة فلا يمكن ان يكون

(١) كان دخوله بغداد في الحرم ورأينا في هذه المجلة (٥ : ٤٥ ح) نقلا عن جامع التواريخ لرشيد الدين ان شرف الدين شخص اليه : «جوزستان في صدر من تلك السنة قام يكن قد قتل في دخول هولاء بغداد . فاي الروايتين هي الصحيحة؟

(٢) راجع مثلا مجلة المرشد ٤ : ٢٨ التي نشرت تعريفا رسالة لتعريف الدين الطوسي .

حجتاً في ما ذهب اليه اذ كم من القبور المشاهير من العلماء وغيرهم درست
وبقيت قبور غيرهم من الذين هم اقل شهرة ومقاماً ! هذا ويجوز ان يكون
المرفد لاحد الجوزيين غير الذين ذكرهم كابي الحسن علي والذ المتوفى في سنة
٥١٧ . وفي ترجمة الابن في ابن خلكان ان وفاة الوالد كانت في سنة ٥١٤ (١١٢) .
فصور الخليفة

وإذا انتقلنا الى قول عبادة القائل : « ولم تبق ريبة في انت القصور التي
تعلمها الحضيريون (١) وما يليها (٢) هي قصور الخليفة كما اشار ابن جبير
تقريباً من باب البصلية (الباب الشرقي) وخريفنا ابن الجوزي « وجدنا ان السند
الذي تمسك به الكاتب لا يحمله على هذا القول الحاسم . وهذا ما نقله عن
مستدرك ابن جبير الذي قال :

« ثم شاهدنا . . . مجلس الشيخ . . . جمال الدين ابي الفضائل بن علي
الجوزي بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي و [الدار] بيه آخره [يعني بيه
آخر الجانب الشرقي] على اتصال من قصور الخليفة و [هي اعني الدار] بمقرية
من باب البصلية آخر ابواب الجانب الشرقي . (٣) » اه .

(١) كنت كتبها ايضاً بالبناء اما اهل هذا البيت فانهم يكتبون اسمهم بالطاء للثالة
والحق ان نجارهم . (الكاتب) (لغة العرب) هذا من شنيع الغلط وفاضحه لان الطاء
لا تجاور الحاء وكذلك العكس . ولو تديرت العاط لفتنا من اولها الى آخرها لما وجدت
كلمة واحدة يرى فيها هذا الجوار . ولهذا يحسن بالحضيريين العرب الاقبح ان يرجعوا الى
الصواب ولا يبخسوا حق لغتنا وقواعدها .

(٢) ما يليها من جهة الشمال اذ ان المدينة تنتهي بقصور « الحظيريين » وما المسافة
التي تحتها الا نحو مئة متر فيها ما كنا نسميه « القوله » (يضم القاف غلطاً في القلة)
وهو برج مدور متقدم في دجلة من بروج سور المدينة وكان قائماً في عهدنا . وكان موضع
قصور الحظيريين حتى قبل خمسة وعشرين عاماً او اقل مدابغ الجلود ذات روائح كريهة
يحدها السور من جهة دجلة فاشترى « الحظيريون » الارض وبنوا عليها قصورهم وشيدوا
لها المسنبات خارج السور . وكان الطريق الذي عليه قصور « الحظيريين » يسمى « عقد
الحناق » (بفتح الحاء وتشديد النون) وكان ضيقاً متمسكاً لا يطرق لآترواته في ناحية لا
حاجة للناس اليها فكان الطريق وما في انحاءه مأوى لاهل الدعارة والتلصص وامتثالهم وذلك
قبل بناء « الحظيريين » قصورهم وقد دخل الطريق في الشوارع العام .

(٣) وضعت النقط للاختصار ما بين المضادات للإيضاح .

وإذا رأينا أن دار ابن الجوزي هي سبب آخر الجانب الشرقي وبمقربها من باب البصلية وأن هذه الدار على اتصال من قصور الخليفة فلا وجه لقبول عبادة أن قصور الخليفة كانت في موضع قصور الخطيريين وما يليها إذ يستعمل أن تكون قصور الخليفة فوق دار ابن الجوزي أو تحتها - ولعل الأرجح أن تكون تلك القصور فوق الدار إذ أن المقرب من باب البصلية قد نسبت إلى الدار وليس إلى القصور.

ومن يراجع مقالتي المنونة « حریم دار الخلافة » (هذه المجلد ٥ : ٤٤٩) يقل أن الجهة المعلقة على دجلة لحريم دار الخلافة كانت بين شريعة الزمعة أو نحوها وبين شريعة المصبغة التي كانت تسمى باب القربة وما يؤيد ذلك قول ياقوت عن القربة (وهي اليوم محلة رأس القربة على الغالب كما سيبين) أنها محلة سبب حريم دار الخلافة بل قال في تاريخ بغداد أنها بدار الخلافة وفضلا عن ذلك فقد قال ابن الساعي في كتابه مختصر أخبار الخلفاء (١) ص ٩١ و ١١٢ أن السيد سلطان علي هو دفين رأس القربة ببغداد . واذ كان جامع السيد السلطان علي - ومرقد فيه - بمحلة طرفها يقرب من طرف ما تسميه اليوم بمحلة رأس القربة (٢) (وأن تفصل المثلثين أحدهما عن ثانيهما محلة أخرى) وكانت

(١) كانت وفاة المؤلف في سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٥ م) والكتاب مطبوع ببصر سنة ١٣٠٩ وفي : « وبقيت قاعدة بني رقاعة في البصرة إلى زمن ولد يحيى أعني السيد عليا أبا الحسن اللقب بالسكي دفين رأس القربة محلة ببغداد » ثم قال عند كلامه عن السيد أحمد الرفاعي : « قدم أبوه سنة تسع عشرة وخمسمائة (١٢٢٥) من واسط إلى بغداد ... فصار ضيفا بيت الأمير مالك ابن المسيب ... وبعد أسدوع توفي ببغداد وعمل عليه ابن المسيب مشهدا برأس القربة محلة بظاهر بغداد من جانبها الشرقي ... ولفقه العلامة بالسيد السلطان علي ... » اه والذي أظنه أن في النسخة التي طبع عليها الكتاب خطأ في قوله عن موضع رأس القربة بظاهر بغداد « ولعل ذلك » بوسط بغداد « . وفي كلش خفا (للطبوع ص ١٠٥) أن والي بغداد إبراهيم باشا عمر هذا الجامع في سنة ١٠٩٣ (١٦٨٢) وعين خطيبه ونداهه . وزيد مخلوطي (دون الطبوع) على ذلك قوله : وأبدي بقراءة الخطبة فيه . (الكتاب) (لغة العرب) الذي عندنا أن قوله بظاهر بغداد من خطأ الطبع ولا شك في أن المؤلف قال « بظاهر بغداد » أي في وسطها .

(٢) وهي تبدي عند شريعة المصبغة أو عند جنوبها كما تحت .

حجة القرية في حریم دار الخلافة بل بدار الخلافة نفسها على ما رأينا في ياقوت جاء ذلك مؤيدا ان حریم دار الخلافة وضمنها دور الخلافة كانت جهته ممتدة بين شريعة المصبغة وشريعة المربعة او نحوها ولا تتجاوز ذلك .

قصور الخطيريين ليست بموضع قصور الخليفة

يؤخذ من كلام ياقوت وكلام ابي الفداء اللذين نقلتهما في « حریم دار الخلافة » ان مبدأ هذا الحریم من جهة الغرب (الشمال الغربي) باب القرية وهو الآن شريعة المصبغة ولا جدال في ذلك . واذ كان الحریم بمقدار ثلاث بغداد وفي وسطها ولا سيما دور العامة محيطها بالحریم فلا يتصل الحریم بسور المدينة في آخرها . وان قيل عن الاحاطة ان ياقوت قالها من باب التوسع وليس بكل معنى الكلمة وحصره قلت ذلك جائز ولكن لا يمكن ان يكون اتصال الحریم بسور المدينة عند آخرها لقولنا ان الحریم في وسط بغداد الخ . واذ كانت قصور « الخطيريين » في منتهى المدينة على ما بسطته قبيل هذا في الحاشية فقصور الخليفة - ودور الخلافة كما سماها ياقوت - لم تكن في موضع قصور « الخطيريين » .

أستان الكريوز هي دار ابن الجوزي ؟

لا يعد ان يكون ذلك وكنت قد قلنا . لما عبادة فقد رأى ان بيت ويجزم بالامر بعد ايراد نص ابن جبير عن ابواب بغداد وعن دار ابن الجوزي ومجلسه وبعد كلامه عن القبر الذي في بستان الكريوز . قال عبادة : « فلم يبق شك في ان الحديقة [حديقة الكريوز] هي دار عبدالرحمن المشار اليه [ابن الجوزي] او فالظن بما كنت قد قلته وقالم قوي لكنه لا يصل الى درجة الحكم القاطع مع وجود دليلين آخرين لم يذكرهما . وهما : اولا كلام ياقوت وفيه ان « حریم دار الخلافة » يكون بمقدار ثلث بغداد وهو في وسطها الخ وثانيا وجود شريعة المربعة على بعد نحو مئة متر فقط فوق بستان الكريوز . واذ لاحظنا موقع هذه البستان وجدناه في مبدأ نحو الثلث الاخير (١) من بغداد وهو يوافق وصف ياقوت فيكون موقع هذا البستان على اتصال من دور الخلافة الواقع في وسط

(١) هو الثلث الجنوبي .

بغداد . وسبب تعرضنا لذكر شريفة المربعة فضلا عن وجود القبر الذي سيج
بستان اكريبوز هو لقول باقوت ايضا ان الدار المربعة هي بدار الخلافة فيمكن
ان تكون هذه الدار آخر دور الخلافة وان دار ابن الجوزي كانت باتصال منها
فالقول ان بستان اكريبوز كان دار ابن الجوزي حري بان يؤخذ بنظر الاعتبار
ولكن - على ما اظن - بعد - لا يتجاوز ذلك حتى يقوم برهان ليؤيد .

٢٥٥

ومما ذكره عبادة حديقة نسبة الى عبد الجبار غلام وكانت صفته فيها صفة
ستاجر . والاخرى في مثل هذه المواضع ان يذكر الملك باسم مالكة لان
الملك - على الغالب - يكون قابضا على زمام الملك مدة اطول من مسدة الالجار
ولا سيما اذا كان الملك رافعا فان اسمه يمر دهرًا . وارجاع نسبة الملك الى
مالكة يفيد الخلف على تعيين المواضع . هذا وان اشتهرت هذه الحديقة في
عهدنا وقتنا ببعد الجبار غلام اما لان فلا احد يعرفها بهذا الاسم . والذي
اعرفه عنها انها وقف للكيلانيين اولئك القبا، منهم . وهي اليوم عرصه خالية
وجبهتها على الشارع العام طولها على الشارع المعتد الى الشيخ عبد القادر الكيلاني
فاخر المدينة من جهة الشمال الشرقي . وقد شرع الآن بعمارتها .

وقال عبادة : « وهي اى دار ابن الجوزي التي قال انها حديقة اكريبوز ا
حتى اليوم واقمة على دجاة على الشط يفصل بينهما قصر النقيب الانف ذكره »
او ولا ادري ضمير « بينهما » لام يعود ولا اسمين في الجملة اما ما جعلها
فاصلا فلا بين لي . والذي نعرفه ان لا فاصل بين قصر النقيب وحديقة
اكريبوز وهما متصلان احدهما بالآخر .

ولان الحصص كلامي بما يأتي :

- ١- ليس بايدينا مستند يرجح ان القبر الذي في بستان اكريبوز هو لمحيي
الدين يوسف بن الجوزي .
- ٢- من المحتمل كل الاحتمال ان يكون بستان اكريبوز دار ابن الجوزي
دون البت في ذلك .

٣- ليست قصور « الحظيرين » في موقع قصور الخليفة .

١- كانت قصور الخليفة كما سماها ابن جبير ... وكما سماها ياقوت دور
 الخلافة بين شريعة المرية او نحوها إن فوقها وان تحتها وبين شريعة المصبغة .
 هذا ما عن لي يات من الماضي وتدوينه الى المستقبل .
 «تصويبات» صحح في هذه المجلة (٥٥:٥) ما في السطر المتقدم على الأخير قولي
 « فالشرقي هو المقر العام » بقولك « فالغربي ... » ثم بعدة قولي « والغربي
 هو دائرة البرق » بقولك « والشرقي ... » وقولي في ص ٥٧ : ١١ :
 « من جهة الجنوب خان الأورتمه » بقولك « من جهة الشمال ... » .
 بغداد يعقوب نعوم سر كيس

معجم المرزباني

Le Dictionnaire Biographique des Poètes.

يني نسخة من هذا الكتاب البديع النفيس وقد تكلمت عن هذه النسخة
 في مجلتي لغت العرب ٧ : ٢١٧ وعند مظنا مني اياتا وجدت فيها فوائد تاريخية
 جريئة لا تقدر . ولا رأيت ما في من المتزلة الرفيعة في ايراد الأخبار التي
 وقعت في عصر المؤلف اسرعت في نسخه ومما يؤسف عليه ان النسخة التي
 بيدي غير تامة اذ ينقص منها عدة اوراق . وضبط الأعلام الواردة فيه من اشق
 الأمور غير ان النسخ وهو مغايب الشهير كان من العلماء الذين يفوقون حضنة
 العلم الذين في عصره . ولو كان نسخه غير هذا التبت لجاءت النسخة من
 اسقم النسخ . وفي نظري ان هذا التأليف اهم من تأليف كتاب المعاني لابن قتيبة .
 بكنهام (انكلترا) ف . كرتكو

(لغة العرب) نود ان نعلم هذا الأمر وهو : أترى نسخة تامة من معجم
 المرزباني عند بعض القراء او يمكن ان يذكر لنا صاحبها تاريخ نسخها واسم من نسخها
 وللاديب الفضل على ابناء العربية جميعهم .

معجم الشعراء المذكور ومختصرة

علمت ان لدى العلامة المستشرق الألماني فريسن كرتكو نسخة مخطوطة من